أخطار الشاشة

إن هذا الكتاب هو بين أيديكم ، فبداية أنتم تقرؤون وهذا لم يعد بدهياً، وثانياً: فأنتم تعترفون بأن التلفاز أصبح جزءاً من الحياة عامةً ومن حياة أطفالكم خاصةً، وثالثاً فأنتم ترفضون ديكتاتورية الشاشة الصغيرة. لقد كتبنا حول هذا الموضوع، وهذا يعني أننا نعتقد بضرورة تحييد ظاهرة التلفاز، وأهمية التفكير الذي يحدث بهدوء، والذي يعطى الوقت الضروري لتعميق هذا التساؤل، إننا لا ننكر حقيقة وجود وسائل الإعلام، والتغيرات الجذرية التي أحدثتها، والثورة في السلوك والعلاقات الاجتماعية والانفتاح على عالم أوسع وأغنى من ذلك الذي عرفته الأجيال التي ستتبعنا، ولكننا نجد في تحفظنا على هذه الأمور نفس الدوافع التي دفعتنا لإنجاز هذا الكتاب، وحثكم على قراءته، إننا نرفض أن تفلت الوسيلة من أيدي الذين ابتكروها، ونرفض كذلك أن ننسى أن الطفولة حساسة جداً وغالية جداً، لنضعها بين أيدي تجار الصور ومخترعي الأحلام الذين يملكون أحياناً دوافع شريفة، ولكنها تخضع دائماً لضوابط لا علاقة لها البتة بالحب، أو علاقتها به ضعيفة.

نحن نعتقد بأن غنى الحياة اللامتناهي لا يمكن أن يُجتزأ في بضع سنتيمترات مربعة تمثلها الشاشة الصغيرة، وبأن الطفل يتغذى بالعلاقات الاجتماعية والحب، وهذه أمور لا يمكن حصرها في علبة مستطيلة، ونحن مقتنعون بأن التلفاز إن لم يكن سيئاً بحد ذاته، ولكنه يخفي أخطاراً حقيقية عندما يصبح البديل عن الأبوين والفعاليات، أو بكلمة واحدة عن الحياة.

إن أخطار الشاشة هو كتاب من أجل الطفل أكثر من كونه ضد التلفاز. قد نكون تركنا الحبل على الغارب لحس الدُعابة عندنا أحياناً، ولكننا بنفس الوقت اطلعنا على عشرات الآلاف من الصفحات التي كتبها غيرنا من الباحثين والمربين والكتاب والصحفيين، وواجهنا معارفنا وأفكارنا بممارستنا كمدرسين وآباء.

إن هذا الكتاب لا يدعي الموضوعية الكاملة، ولكنه يعكس التعددية في النظرة إلى ملف معقد يتعلق بالطفل والتلفاز.

كيف نستخدم هذا الكتاب؟

لم يكن هدفنا كتابة مرجع تثقيفي ممل حول التلفاز، وإنما دعوتكم للتفكير ملياً في الموضوع، ونحن ندعوكم للدخول في صلب الموضوع من خلال القاموس، و لا نعني بذلك معجماً علمياً للمصطلحات، ولكن خياراً موضوعياً للألفاظ والمفاهيم والمعارف التي تحمل شحنة عاطفية أو مثيرة للجدل.

دعابة ماكرة وتحدٍ أو سخرية هي المفردات التي سنجد مثيلاتها في هذا القاموس الذي يعتبر مدخلاً لأبواب الكتاب السبعة، وليس لترتيب هذه الأبواب أهمية خاصة، فالأهم هو الاهتمام الذي ستبدونه في اختيار هذا الباب أو ذاك.

في هذه الأبواب، ودون أن نضع ألسنتنا في جيوبنا، حاولنا جاهدين تلخيص الاكتشافات الرئيسة، وجمع الآراء الأكثر أهمية فيما يتعلق بالموضوع، إن العبارات المنقولة عن الكتب المذكورة لا تعني أننا ندعم

قائليهـا في كل ما ذهبـوا إليه، والأمر بكل بساطة هو توضيح تيارات الرأي الرئيسـة ذات الصلـة بموضوع الكتـاب، ومقتطفـات الصحف والمجلات التـي نعرضها يجب أن تقـرأ بنفس المنهجية، ستجـدون فيها غالباً صدى قناعاتنـا الخاصـة، وأحياناً عاملاً حافـزاً للخلاف والمناظـرة، والهدف دائماً هو إغناء النقاش والحوار.

الخوف الكبير من عام 2000م

إن التوجه العام هو باتجاه التشاؤم والكارثة.

دعاة الفضيلة الذين كانـت آراؤهم مسموعة سابقاً يدَّعون تحلل الأخـلاق وتفكك العائلـة ووقاحة الشباب في تعاملهـم مع المتقدمين عليهم بالسـن، نعرف هذه الموعظة منذ آلاف السنين، ولم يقل دعاة الفضيلة غيرها، ومع ذلـك فالأخلاق ما زالت باقية، وما زال الكبار يقـودون الشباب، ومـا زال الشباب الذين يتبادلـون الحب ويريدون تكوين عائلة يرتبطون برباط الزواج المقدس.

كل نشاطاتنـا خضعـت للتحليـل النفسـي: حياتنـا الاجتماعية، وفعاليـات الحيـاة اليومية، وحتى قيادتنا للسيـارات، كل شيء يدعو للقلق، ورغم أن أمامنا طريق باتجاهين فإننا جميعاً مذعنون للاتجاه باتجاه واحد نحو الكآبة العامة، بجهود هؤلاء الدجالين الذين يبيعون الـكلام المعسول (دجال أصلها من الإيطـالي القديم وتعني المتكلم) إننا نقترب من العام 2000م في محيط من الخرافات والذعر مشابه للذي عاشه أسلافنا قبل عشرة قرون دون أن يكون أكثر منطقية.

إننا نعيش مثلهم نظرية الخوف من نهاية العالم في نهاية الألفية الثانية.

صحيح أن كل تقدم تقني له مساوئه، وأن كل نوع من أنواع التلوث التي نتكلم عنها ليس خدعة، إنها أخطار حقيقية يجب ألا نقلل من أهميتها، ويمكن تجنبها في كثير من الأحيان، يمكن لسماء مدننا أن تعود صافية، وتجربة لندن تؤكد هذا، وأنهارنا التي أصبح ماؤها آسناً يمكن لها أن تعود صافية، وما حصل في السويد يثبت ذلك، كما أنه يمكن لطرقنا وأريافنا أن تصبح نظيفة.

إن تطور تقنياتنا حتمي، وهو مرتبط بعدم قبول الإنسان بواقعه ورغباته واضطرام حماسه، ولا أحد يستطيع إيقاف هذا الزحف، ولكن على الإنسان أن يحرص على أن تفوق محاسن التطور تبعاته السيئة.

وإن دور دعاة الفضيلة والمفكرين والأطباء، والذين يملكون السلطة وحق الكلام أن يعينوا الإنسان على الحياة عندما تكون ظروف معيشته غير معقولة، وإلا فإنه تراب وسيعود إلى التراب بعد سنوات من الشقاء على هذه الأرض، إن مهمتهم الاجتماعية هي مساعدة الإنسان على أن يحيى، وليس بث القلق واليأس بحال من الأحوال.

يجب علينا أن نتابع العمل على تحسين الحياة، وأن نكون يقظين ومنتبهين لآثار تقنياتنا الحديثة وألا نشارك في حملة الرعب الجماعي في عام 2000م.

ج.س سورينا. جريدة لوموند 12 أيار 1972م.

إن كل كلمة في القاموس تحيلنا إلى أحد أبواب الكتاب السبعة. وستجدون أنفسكم غالباً عائدين للباب الثالث والرابع والخامس، لأننا في

هذه الأبواب نتحدث عن المواضيع الخلافية، وهي تأثير التلفاز على الطفل وعلاقته بالمجتمع.

يتحدث الباب الأول عن التطورات الأكثر توقعاً للتلفاز ولا يلقي بالاً للنقد اللاذع، وهو المُعرض للتلاشي في المقام الأول بسبب التطور السريع للتقنيات في هذا المجال.

وفي الباب الأخير سنجازف باقتراح بعض الحلول، وإسداء بعض النصائح، وصياغة توصيات، ولكن لا تنسوا أن هدفنا ليس أن نلقي عليكم موعظة (إغراء كبير للمعلمين)، ولكن أن نساعدكم في إيجاد حلولكم الخاصة، وأن تحافظوا أو تستعيدوا السيطرة على الوضع بحسب معاييركم الشخصية، وأن تتابعوا التفكير بجدية بأمر مهم أملُنا أن نغني الحوار فيه قدر المستطاع.

إذاً يمكن أن يستفاد من هذا الكتاب بتنقل سريع وحكيم بين القاموس والأبواب، وبين ما كتبناه ومقتطفات الصحف، وبين القناعات الموضوعية وتبني المواقف الشخصية.

إذا استطعتم بعد إغلاق هذا الكتاب أن تغيروا مكان تلفازكم ولو مجازياً، فإن جهدنا لم يضع سدى، إذا تحولت أنظاركم من الشاشة إلى الطفل، وإذا اكتشف طفلكم أنكم أسياد الموقف كما هو بطله المفضل في علبة الصور (التلفاز)، فإن هدفنا من وراء كتابة هذا الكتاب قد تحقق إلى حدٍ كبير.

التوقيع: ر. ب و م.ب